

وائل قنديل يكتب : قبل أن تتحول "6 إبريل" إلى ذكرى



الاثنين 6 أبريل 2015 12:04 م

بقلم: وائل قنديل

تستقبل حركة "6 إبريل" عامها الثامن، مرصعة بوشاح جديد، يضاف إلى حصولها في العام الماضي على رتبة "المحظورة"، حيث يتحرك الفريق الذي استصدر حكماً قضائياً، مؤيداً بالنقض، بحظر أنشطة الحركة، للحصول على حكم آخر بتصنيفها "حركة إرهابية".

سبع سنوات مرت على الحركة الشبابية اليانعة، لكنها هذا العام تبدو وكأنها استسلمت لشيخوخة مبكرة، واشتعال الرأس شيباً، قبل الأوان، حيث يقبع مؤسسها، أحمد ماهر، في سجون الانقلاب، مع اثنين من شباب الحركة البارزين، محمد عادل وأحمد دومة، بالإضافة إلى عدد كبير من أعضائها، ليسوا من المشهورين، وعلى الرغم من ذلك، تتحدث الحركة باستحياء عن استقبالها "العام الثامن" من عمرها، إذ تحاصرنا صحف السلطة الجديدة بأكمنة من نوعية "ما قولكم في التنسيق بينكم وبين جماعة الإخوان للتظاهر في ذكرى تأسيس الحركة"، فيرد منسقاها العام الحالي، عمرو علي، بالنفي القاطع الحازم، مؤكداً أن "أي حديث عن إطلاق ثورة جديدة غير واقعي"، وأن الأمر لن يتعدى وقفة رمزية، احتفالاً بالذكرى □

تثير كلمة "الذكرى" نوعاً من الأسى، عند الحديث عن حركات سياسية شابة، لا تزال نابضة بالعطاء، ولا يمكن تخيل أن تصبح "6 إبريل" مجرد ذكرى، حتى لو بشكل مؤقت، تلافياً لقصف انقلابي عنيف، يهدد بإقامة دعوى قضائية جديدة، ضد احتفال الحركة بعيد ميلادها، تأسيساً على أنها باتت "المحظورة" بحكم القانون □

لكن، بالنظر إلى الواقع السياسي المأساوي الذي تعيشه مصر، في ظل التحالف العنيف بين عناصر الثورة المضادة الأربعة (عسكر - شرطة - قضاء - إعلام)، ومع إيثار الرموز الثورية الكبيرة السلامة، والتحالفها بالصمت، واختبائها في أحراش الرحيل، من الممكن أن تتلمس بعض العذر، لمن يكبشون النار في الداخل، حين يأتي خطابهم محسوباً بدقة، ومتحفظاً، لدرجة الرعب، في مواجهة كل هذه الفخاخ المنصوبة □

غير أنه من ناحية أخرى، لا يمكن تجاهل أن "6 إبريل" ما كان لها أن تكون بهذه الحيوية، وهذا التأثير في الحراك الجماهيري، طوال السنوات الماضية، لو كانت حركة "نظامية" مثل أحزاب كثيرة، وضجوا عليها ملصق "معارضة"، بينما هي للنظام والسلطة أقرب، على نحو سافر ومفضوح، جعلها أضحوة الناس، من ناحية، ومجرد خادمة مطيعة في مطبخ السلطة، من ناحية أخرى □

ولعل الإفلات من هذا المصير البائس، كان السبب الأول والرئيس، في حضور "6 إبريل" بين قطاعات واسعة من الجماهير، كونها تنطلق من وضع "الحركة"، لا وضعية أو وضاعة الجمود والتكلس التي اتسمت بها أحزاب، أطلقوا عليها "أحزاب معارضة"، وبالتالي، يمكن القول إن "حركة 6 إبريل" محظورة، منذ أن ولدت، واكتسبت قدرتها على البقاء والاستمرار من مقاومتها وتمردتها على هذا الحظر السلطوي، بل إنها تكون أكثر فاعلية وازدهاراً، كلما اشتدت وطأة المنع والحظر والتضييق □

لقد جربت ألوان من المعارضة المصرية محاولة اتقاء شر نظام باطش، بالصمت المؤقت، غير أن النتيجة أنها تلقت ضربات لا تقل عنفاً، عما نالته المعارضة الناطقة الصارخة بمقاومة كل هذا القمع والجنون، فهذا نظام يعتبر صمتك مؤامرة تحت الإنشاء، وليس حياداً، ويرى في سكوتك وسكوتك، تحضيراً لعاصفة، فإما أن تتكلم طوال الوقت، مؤيداً وموافقاً ومهرولاً إلى ما يتساقط من موائد الدم، أو تكون عدواً محظوراً منبوذاً، ومحسوساً، ولكم في ما جرى مع المستشار زكريا عبد العزيز، وغيره من نشطاء، وجدوا أنفسهم في فوهة حقق السلطة، المثل والعبرة □

إن عنف الضربات التي تلقتها كل أشكال المعارضة المصرية، منذ الثلاثين من يونيو/حزيران 2013، يكشف أن هذا النظام حدد خصومه مبكراً، وحفظ أسماءهم "صمماً"، ويعرف متى وكيف ينقض على الجميع، فلا يفرق بين "إبريلي" أو "إخواني" أو "أولتراس"، وعلى الرغم من ذلك، تستسلم كل الأطراف التي كانت شريكة في ثورة واحدة، لجدران العزل التي أقامتها السلطة فيما بينهم، وجلست تستدعي بنيران عراكمهم واشتباكهم، حتى صار الجميع "محظوراً".

